

الديانات التوحيدية والوثنية في دول وممالك شبه الجزيرة العربية من القرن 05 ق.م إلى القرن 02 م.

The monotheistic and pagan religions in the states and kingdoms of the Arabian Peninsula from the 5th century BC to the 02 century AD.

Les religions monothéistes et païennes dans les États et les royaumes de la péninsule arabique du 05 siècle avant JC au 02 siècle après JC.

لحسن براهيم¹

تاريخ النشر: 2023/06/01

تاريخ القبول: 2022/02/16

تاريخ الإرسال: 2021/03/02

ملخص :

لقد تعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية لدى العرب القدماء، كما نشأت بالأساس عن فطرة الانسان، لذلك مارس العرب في دول وممالك شبه الجزيرة العربية من القرن 05 ق.م إلى القرن 02م العديد من الديانات، التي اختلفت بين التوحيدية المنزلة من السماء وبين الديانات الوضعية الوثنية، وقد أثرت هذه الديانات على شعوب شبه الجزيرة العربية القديمة، ما جعل العرب القدامى يعبدون آلهة متعددة باختصاصات متنوعة.

إنَّ الهدف من هذه الدراسة هو توضيح أهم الممارسات الدينية لدى شعوب الجزيرة العربية القديمة، وإبراز الفرق بين الديانات التوحيدية الوثنية، مع ذكر أهم الأصنام والأوثان، معتمدا على المنهج التاريخي التحليلي، بهدف عرض الأحداث التاريخية وتحليلها بما يتماشى وطبيعة الموضوع ؛ ومن نتائج هذه الدراسة : أنَّ بعض العرب القدماء اعتقدوا في كل المظاهر الطبيعية، وجعلوا لها آلهة وقدموا لها القرابين، وخصصوا لها كبيراً يجتمعون عنده ويحجون اليه، لذلك نرى تفرُّق معتقداتهم بين ديانات سماوية وبين معتقدات وثنية، لكن لا تلك ولا هذه عبدوها حق عبادتها.

الكلمات المفتاحية : الدين؛ الديانات التوحيدية؛ الديانات الوضعية؛ دول وممالك شبه الجزيرة العربية.

Abstract :

Several factors cooperated in creating the religious belief of the ancient Arabs, as it arose mainly from the human instinct. Therefore, the Arabs of the states and kingdoms of the Arabian Peninsula from the 5th century BC to the 2nd century AD practiced multiple religions that differed between monotheism revealed from heaven and between pagan religions What made the ancient Arabs worship multiple gods with different specialties.

This study aims to clarify the most important religions of the peoples of the ancient Arabian Peninsula, highlighting the difference between these religions, with mentioning the most important idols, relying on the analytical historical method, and from the results of this study that some ancient Arabs believed in all natural appearances, worshiped the God of the Kaaba, and offered sacrifices to him. They made a pilgrimage to him, and we see their beliefs differentiated between the heavenly religions and the pagan beliefs.

*المؤلف المراسل

¹ Brahim Lahcene, Faculty of Human Sciences - University of Algeria2, Abul-Qasim Saadallah, brahim.lahcene@univ-alger2.dz

Keywords : Religion; Monotheistic Religions; Positivist Religions; Countries and Kingdoms of the Arabian Peninsula.

Résumé :

Plusieurs facteurs ont contribué à la création de la croyance religieuse des anciens Arabes, car elle découlait principalement de l'instinct humain. Par conséquent, les Arabes des États et des royaumes de la péninsule arabique du cinquième siècle avant JC au deuxième siècle après JC ont pratiqué plusieurs religions qui différaient entre le monothéisme révélé du ciel et les religions païennes, ce qui faisait que les anciens Arabes adoraient plusieurs dieux avec des spécialités différentes.

Cette étude vise à clarifier les religions des peuples de l'ancienne péninsule arabique et à mettre en évidence la différence entre ces religions, en s'appuyant sur la méthode analytique historique, et à partir des résultats de cette étude, certains anciens Arabes croyaient à toutes les apparences naturelles et adoraient la Kaaba, et lui offrit des sacrifices. Ils lui ont fait un pèlerinage, et nous voyons leurs croyances différer entre les religions monothéistes et les croyances païennes.

Mots clés : Religion; Religions Monothéistes; Religions Positivistes; Pays et Royaumes de la Péninsule Arabique.

مقدمة

عَبَدَ العرب القدماء في دول وممالك شبه الجزيرة العربية في الفترة القديمة آلهة عديدة ومتنوعة مثلهم مثل سائر الشعوب الأخرى التي عاصروها، كما فكروا في وجود قوى عليا، لها القدرة في التأثير على ممارساتهم وعقائدهم التعبدي والدينية، فحاولوا التقرب منها وإرضاءها بمختلف الطرق والوسائل، فوضعوا لها أسماء وصفات، وعبدوها بألسنتهم وقلوبهم، وبنوا لها دور العبادة وتفننوا في بناءها، وأعطوا لها الأولوية وقدموها حتى على الاعمال والعبادات، ومن هنا يمكننا أن نطرح الاشكالية التالية : ما هي أهم الديانات التي مارسها العرب القدماء في دول وممالك شبه الجزيرة العربية من القرن 05 ق.م إلى القرن 02 م ؟ وقد تفرعت عن هذه الاشكالية تساؤلات فرعية هي : ما المقصود بالديانات التوحيدية والديانات الوثنية ؟ وما هي هذه الديانات ؟ وكيف أثَّرت هذه الديانات على الشعوب العربية القديمة ؟ وماهي أهم الآلهة التي عبدها العرب القدماء ؟

I- الديانات في شبه الجزيرة العربية القديمة

لمعرفة أهم الديانات في شبه الجزيرة العربية القديمة، يجب علينا أن نعرف الدين من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وأن نبيّن أوجه الاختلاف بين تعاريف علماء الأديان والفلاسفة والمؤرخين والعلماء المسلمين وغير المسلمين، بالإضافة إلى إبراز الفرق بين المفاهيم القديمة والمعاصرة للدين.

1- تعريف الدين

1- 1 الدين لغة

وهو كلمة مشتقة من الدَّيَّان، وتعني الطاعة، لذلك يقال دِنْتُهُ ودِنْتُ لَهُ أي أطعته (ابن منظور، 2004)، وقال الجوهري في تعريفه للدِّين: «هو الطاعة، ودان له أي أطاعه» (الجوهري، د.ت)، والدِّين يدل على العادة (الحايطي، 1406هـ)، ومجمل تعاريف العرب للدِّين من الناحية اللغوية فيعرفونه: بأنَّه العلاقة بين طرفين يعظَّم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وُصف بها الأول كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وُصف بها الثاني كانت أمرًا وسلطانًا وحكمًا وإلزامًا.

ومما يمكن فهمه للدِّين من الناحية اللغوية، أنَّه الطاعة والعادة والانقياد والخضوع والأمر والسلطان والحكم والالزام.

1- 2 - تعريف الدين اصطلاحاً : يقسِّم علماء الأديان والمؤرخين والفلاسفة تعريف الدِّين من الناحية الاصطلاحية إلى

اتجاهين هما:

أ- الاتجاه الأول

يَتَّفَق بعض المؤرخين وعلماء الأديان المسلمين في تعريف الدِّين: بأنه وضعٌ إلهي يرشد إلى الحق وإلى الخير في السلوك والمعاملات (دراز، 1952)، كما يعتبرونه إلتزامًا يَتَقَرَّب به الانسان إلى معبوده الذي يعبد (دراز، 1952).

ب- الاتجاه الثاني

يرى أصحاب هذا الاتجاه من المؤرخين والفلاسفة أنَّ للدِّين تعاريف كثيرة، نذكر منها:

01- تعريف شيشرون للدِّين : يُعرِّف شيشرون⁽²⁾ الدِّين بأنَّه الرباط والحبل الذي يصل الانسان بالله (الحايطي، 1406هـ).

02- تعريف النشار للدِّين : يُعرِّف النشار الدِّين بأنه هو الغريزة النفسية التي تدفعنا إلى السعادة (النشار، 1949).

03- تعريف الحايطي للدِّين : يعرِّف الحايطي الدِّين بأنه هو الاحساس الذي يشعر به الانسان حينما يخوض في بحر الأسرار (الحايطي، 1406هـ)، ومما يلاحظ على هذه التعاريف أنَّها جاءت متباينة المعنى، فبعضها يعتمد على فكرة السعادة،

(2) - ماركوس توليوس شيشرون - Marcus Tullius Cicero ، كاتب روماني وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق.م ، صاحب إنتاج ضخم ، قد وصلنا جانب كبير منه ، لقد أثارت شخصية شيشرون الكثير من الجدل والتقويمات المتضاربة وخاصة في الجانب السياسي من حياته ، فهو تارة مثقف مضيع في وسط سيء ، وتارة أخرى ثري إيطالي صاعد في روما ، وثالثة انتهازي متقلب و"أداة طيبة في يد الملكية" و"متملق ليومبي ثم قيصر" بحسب تيودور مومسن وجروم كاركوبينو ، ولكنه أيضا بحسب بيير كرىمال الجسر الذي عبره وصلنا جانب من الفلسفة اليونانية، يُنظر : Cicero Marcus Tullius, Cicero's letters to Atticus, Vol, I, II, IV, VI, Cambridge University Press, Great Britain, 1965, pp 20- 26.

وبعضها يعتمد على فكرة المعاملات بين البشر، وبعضها الآخر يعتمد على فكرة وجود إله وغيرها، والسبب في ذلك يرجع إلى وجود رجال دين وفلاسفة ومؤرخين حكموا العقل دون غيره.

ثانياً- الديانات التوحيدية والوثنية في دول وممالك شبه الجزيرة العربية القديمة من ق 05 ق.م إلى ق 03م

لقد مارس سكان شبه الجزيرة العربية القديمة ديانات عديدة ومتنوعة، منها ما أنزل من السماء على بعض الانبياء والمرسلين وتسمى بالديانات السماوية، ومنها ما صيغ في شكل مذاهب من صنع العلماء ورجال الدين وتسمى بالديانات الوضعية.

II- الديانات السماوية وتأثيراتها على سكان شبه الجزيرة العربية القديمة

لم يكن سكان الجزيرة العربية في الفترة القديمة جميعهم على دين واحد، بل كانوا على أديان مختلفة، إذ اتبعوا ديانات سماوية سميت بـ"التوحيدية" فكانت الحنيفية واليهودية والمسيحية الديانات الشائعة آنذاك، وإن نزوح العرب إلى هذه الديانات يرجع إلى سلامة فطرتهم والفراغ الديني في المجتمع في الفترة القديمة.

1- الحنيفية وتأثيراتها على شبه الجزيرة العربية القديمة

1-1 تعريف الحنيفية لغة

وهي مشتقة من الحنيف وهو الذي يتحنن عن الأديان أي يميل إلى الدين الحق، وقيل هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم عليه السلام، والحنيفية في اللغة تعني الميل (النشأ، 1949)، وقد ذكر الله تعالى الحنفاء في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة، 135)، ومعنى الآية أن ابراهيم عليه السلام حنف إلى دين الله تعالى واتبعه، وسمى العرب القدماء الحنف في قولهم رجُلٌ أحنف ورجُلٌ حنفاء أي المائلة إلى أختها بأصابعها (ابن منظور، 2004).

ويتضح مما سبق أن العلماء عادوا بكلمة حنيف إلى ابراهيم عليه السلام الذي ترك عبادة آبائه ومال إلى عبادة الله وحده سبحانه وتعالى.

1-2 تعريف الحنيفية اصطلاحاً

الحنيفية في الاصطلاح تعني الميل والانحراف، وفي العبرية والآرامية تعني الميل عن الحق، أمّا عند العرب القدماء تعني الميل إلى الحق (ابن منظور، 2004)، وقد وصف متبّع هذه الديانة عند العبرانيين والسريانيين بالنجس أو المرتد، وقد وُصِمَ بها العرب الذين هجروا عبادة الأصنام وارتدوا عن دين من كان حولهم، وفي المسيحية واليهودية هم الذين لم يدخلوا بهاتين الديانتين من الفرس والإغريق والعرب (الحايطي، 1406هـ)؛ والحنيف كل من أسلم في أمر الله فلم يترك في شيء منه، وقد أخذه كله (ابن منظور، 2004).

وقد شاعت الحنيفية بين العرب قديما، وكان أتباعها جماعة من العقلاء الذين سَمَت أنفسهم عن عبادة الأصنام، ولم ينجحوا إلى اليهودية أو النصرانية، وإنما قالوا بوحداية الله (جرجس داود، 1988)، والأحناف جماعة من العرب أُنُوا علما وحكمة، فنبذوا ما كان عليه أقوامهم من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، وقيل أنهم آمنوا بالله واهتدوا إلى معرفته عن طريق النبوة أو الكتاب الذي أنزل على إبراهيم عليه السَّلام (أبو الغيث، 2014).

ظهرت الحنيفية وهي تحمل مشروعا دينيا وسياسيا على مستوى الجزيرة العربية كلها، هذا المشروع يستبدل التعددية العقائدية على المستوى الذهني والديني، والانقسام القبلي على المستوى السياسي والاجتماعي، الذي سيتولد عنه مقاومة عنيدة من طرف أصحاب الديانات الربوبية الأخرى، والتي كانت ترى في الحنيفية خطرا عليها لأنها عملت على إلغاء وجودها الروحي والمادي، والذي دام قرونا عديدة وتعايش مع ديانات الجزيرة العربية التوحيدية الأخرى (شامي، 1986)، وكان الحنفاء أقرب ما يكونون إلى النُساك والزُّهاد الذين يسبحون في البلاد ويعتزلون الناس، ويلجؤون إلى أماكن نائية للعبادة والتأمل، فكانوا أناسا مصلحين في مجتمع وثني بدائي في أفكاره الدينية، فسعوا إلى ما يرضي أنفسهم وبمأل وجدانهم، فنادوا بأفكار تحضُّ على مكارم الأخلاق، ونبذوا عادات قومهم الدينية، وحافظوا على شريعة إبراهيم عليه السَّلام كالحج إلى البيت والاختتان وغيرها (إبراهيم حمزة، 2012).

والأحناف وإن عدّهم بعض المستشرقين من العرب المنتصرة تارة، أو ممن خلط بين نصرانيتهم وحنيفيتهم تارة أخرى، إلا أنه يتضح من الأخبار التي وردت: أنهم كانوا على الأقل ممن اعتزل عبادة الأوثان، وأعرض عن أكل ذبائحها وما أهل لغير الله، وهم ممن حرّم الخمر واختن وحج البت على أنه بيت لله لا للأصنام (هبو أحمد، 1990)، ومن أشهر حنفاء العرب في دول وممالك شبه الجزيرة العربية القديمة ما يلي:

أ- قس بن ساعدة الإيادي

اختلف المؤرخون في سنوات عيشه فمنهم من قال أنه عاش 380 سنة (شامي، 1986)، ومنهم من قال أنه عاش 600 سنة (السجستاني، د. ت)، وقد كان من بين العرب القدماء الذين اعتنقوا الحنيفية، ورويت عنه خطبا واشعارا تدل على توحيده لرب العالمين، وإيمانه بالبعث والجزاء، ومن خطبه الشهيرة: «أيها النَّاس اسمعوا وعوا فاذا وعيتم فانتفعوا، فانه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبرا، وفي الأرض لعبرا، مهاده موضوع وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لن تغور، ليل داج وسماء ذات أبراج، أقسم قِسُّ قسما حتما لئن كان في الأرض رضى لىكونن بعده سخطا، وإن لله عزت قدرته، دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه» (المرزباني، 2005)، ويتبين لنا من النص أن قس بن ساعدة كان موحدا وكان مؤمنا، وما يدل على ذلك هو طريقة تفكيره في مخلوقات الله التي دلت على قدرته وعظمته جلَّ وعلا.

ب- زيد بن عمر بن نفل

اتبع زيد بن عمر⁽³⁾ الحنيفة وترك عبادة الاوثان، وفارق دين قومه، وكان لا يأكل الا ما ذبح على اسم الله وحده، وكان يصلي الى الكعبة، وكان يقول: «إلهي إله ابراهيم، وديني دين ابراهيم»، وكان يُحيي الموءودة ويعتزل الأوثان ويفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفة دين ابراهيم عليه السَّلام (الألوسي، 1925)، وكان زيد بن عمر يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: «الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء ماءً وانبت لها من الارض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟»، ومن اتبع الحنيفة كثير من العرب القدماء كذلك: (خالد بن سنان العبسي، أمية بن أبي الصلت، أبو قيس صرمة بن أبي أنس، ...) (ابن كثير، 2000).

وما يُستخلص مما سبق أن الحنيفة كانت دين ابراهيم عليه السَّلام، وهي دين توحيد، تنبذ كل الديانات الاخرى التي تدعو الى اليهودية والنصرانية، وقد انتشرت في دول وممالك شبه الجزيرة العربية القديمة كاليمن والحجاز (الحاطي، 1406هـ)، ولكن ومع مرور الزمن بدأت وطأة الحنيفة تخف شيئاً فشيئاً، وعادت عبادة الاصنام لتزدهر من جديد.

2- اليهودية وتأثيراتها على سكان شبه الجزيرة العربية القديمة

وُجد اليهود في جنوب ووسط وشمال الجزيرة العربية، وفي مناطق أخرى متفرقة منها، وكانت اليهودية إحدى الديانات المتواجدة فيها، وإنَّ أول ذكر لليهود في مناطق الجزيرة العربية يرجع حسب بعض الأخبار إلى زمن الهيكل الأول، حيث بدأت الهجرة اليهودية إلى مناطق الجزيرة العربية في القرن الثامن قبل الميلاد وبحلول القرنين الاول والثاني للميلاد كان هناك عدد كبير من اليهود تسكن شبه الجزيرة العربية.

2-1 تعريف اليهودية لغة

اختلف علماء اللغة في أصل ومعنى كلمة اليهود، فمنهم من قال بأنها كلمة عربية مشتقة، ومنهم من قال بأنها كلمة غير عربية، ودليل قول البعض بأنها كلمة عربية مشتقة من كلمة (الهود)، وهو التوبة والرجوع عن الخطأ (ابن منبه، 1374هـ)، وقول البعض بأنها كلمة غير عربية نسبة إلى يهوذا، وهو أحد أسباط بني الله إسرائيل، أو إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد النبي سليمان عليه السَّلام (الفيروز أبادي، 1955).

(3) - زيد بن عمر بن نفل بن عبد العزى بن رباح، وأمه أمية بنت عبد المطلب، وهو أحد أشهر الموحدين في الجاهلية، نبذ عبادة الأصنام ووحد الله باحثاً عن دين إبراهيم الحنيف، سافر في أرجاء الجزيرة العربية باحثاً عن الدين السمح، ولم يقتنع باليهودية ولا النصرانية، يُنظر: محمد بن سعد بن منيع الزهري، كتاب الطبقات الكبير، ج 03، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 01، 2001، ص 290.

2-2 تعريف اليهودية اصطلاحاً

اليهودية نسبة إلى اليهود وهم الذين يزعمون أنهم أتباع النبي موسى عليه السلام، وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بـ (قوم موسى)، وبـ (بنو إسرائيل) نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك (أهل الكتاب) (السعدي، 1988)، واليهودية من الديانات الكتابية الموحى بها، أي أن اليهود أهل كتاب (التوراة والتلمود)، فالتوراة هي الأساس وجاء التلمود ليكمل أحكامها وشرحها، وعرف اليهود بالعبرانيين والإسرائيليين وهودا ومنها جات كلمة يهود (الخلف، 1997).

2-3 اليهودية في شبه الجزيرة العربية

إن تواجد اليهود في شبه الجزيرة العربية قديم منذ عهدي عاد وثمود، وقد تواجدوا بين العرب، وحتى أن بعض ملوك الممالك العربية القديمة تهودوا (دغيم، 1995)، وكان تواجد اليهود وانتشارهم بين العرب منذ عهد النبي سليمان عليه السلام، فانتشرت اليهودية بين ملوم حمير وكندة وغسان، وتهود قوم الاوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن، وكان التجار اليهود يرحلون إلى سبأ في عهد النبي سليمان عليه السلام وتواصلت الرحلات حتى بعده (يوسيفوس، 1872).

ويقسم المؤرخون والعلماء اليهود إلى قسمين: يهود من اصل عبراني يعود نسبهم إلى يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم عليهم السلام من زوجته سارة، أو نسبة إلى هود في قوم عاد، والقسم الآخر وهم يهود عرب تهودوا والتحقوا باليهودية بعد انتشارها في دول وممالك شبه الجزيرة العربية، وسكن اليهود في وادي القرى وآيلة واعالي الحجاز والطائف والمدينة ومكة وعدن وشواطئ البحر الاحمر وموانئ العربية الجنوبية وحمير وسبأ وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية (جواد، 1993).

2-4 اليهودية في اليمن

انتشرت اليهودية في اليمن بوجه خاص على يد الحميريين، وخاصة التبابعة من اتباع تبع أبو كرب بن حسان بن اسعد الحميري اليمني الذي اعتنق اليهودية (جواد، 1993)، كما ساهم في نشر اليهودية التجار والمبشرين اليهود الذين هربوا من الاشوريين والكلدانيين والرومان واتجهوا صوب اليمن والحجاز، والذي ساعد على انتشار اليهودية في اليمن في وقت قصير، هو كون اليمن أكثر بلاد العرب تحضراً من غيرها بالإضافة إلى طبيعة مناخها ووقوعها على الساحل الذي جعل منها ممراً هاماً للتجارة، الأمر الذي سمح لليهود والذين هم أهل صناعة وحرفة وتجارة أن يجدوا مأربهم وراحتهم في اليمن وتكاثروا فيها (الاصفهاني، 1968).

ويذكر عبد العزيز سالم: أن فترة احتلال الاحباش الاول لليمن (183-213م)، هي التي دفعت يهود اليمن وملوك حمير إلى الهجرة نحو الشمال، ولكن وبعد استرداد الحميريون لليمن عاد اليهود ونشروا اليهودية على يد (أبو كرب) ومن بعده الملك (ذو نواس)، الذي دعا إلى اعتناق اليهودية (جواد، 1993)، وقد امتدت اليهودية في اليمن إلى غاية

احتلالها مرة أخرى من طرف الاحباش والنصارى، كما بقيت الى اليهودية في اليمن ايام الاسلام الى ان هاجروا الى فلسطين والى مصر، واقاموا مستوطنة يهودية في جزيرة الغيلة قرب أسوان (سالم، 1988).

وقد ذكرت اليهودية في أشعار العرب، ووردت بعض الألفاظ التي تدل على أماكن عباداتهم كالمحراب، وسمي رجُل الدين عندهم بـ (الحر) وجمعه (أخبار)، وهناك بعض اليهود الذين نظموا شعارا بالعربية، من بينهم: (السموأل بن عادي، شريح بن عمران، أوس بن دفن، كعب بن سعد، أبو الديال، كعب بن الاشرف، أبو رافع اليهودي،...) (قرم، 1979)، وما يمكن ملاحظته على اليهودية، انها عرفت انتشارا واسعا بين العرب القدماء في مختلف دول وممالك شبه الجزيرة العربية، إلا أن تأثيرها لم يغير في البنى الذهنية للعرب، ولم يغير كذلك من عاداتهم وتقاليدهم ولا حتى انماط معيشتهم.

3- النصرانية وتأثيراتها على شبه الجزيرة العربية القديمة

وصلت النصرانية (المسيحية) إلى شبه الجزيرة العربية أولاً إلى مدينة البصرة الواقعة على شواطئ الخليج العربي، وتبين مصادر التاريخ الكنسي أن دخول النصرانية إلى شبه الجزيرة العربية كان من طرف أحد السبعين رسول، وقد انتشرت المسيحية خلال المرحلة الأولى في المناطق الساحلية الجنوبية والشمالية للجزيرة العربية متأثرة بمواكب التجارة القديمة.

3-1 تعريف النصرانية لغة : نسبة إلى الناصرة، وهي القرية التي وُلد بها عيسى عليه السَّلام، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصرانية، وجمعه نصارى (دغيم، 1995).

3-2 تعريف النصرانية اصطلاحاً

هي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتَّبَعون عيسى عليه السَّلام وكتَّابهم الإنجيل، وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم اسم النصارى وأهل الكتاب وأهل الإنجيل، وهم يُسمُّون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح (عيسى) عليه السَّلام، ويُسمُّون ديانتهم المسيحية، والمسيحية من الديانات السماوية الموحى بها (عرفان، 2000).

3-3 النصرانية في شبه الجزيرة العربية

إنَّ أول احتكاك للعرب بالمسيحية، كان مع المسيح مباشرة وخاصة في المدن التي عاش فيها وتنقَّل بينها، فمن الناصرة إلى بيت لحم والقدس وأريحا وصور وصيدا، وهذه المدن كان يسكنها العرب، وقد انتشرت النصرانية أولاً بين اليهود ثم انتقلت إلى سائر الشعوب عن طريق عمليات التمسيح، وذلك عن طريق القديس بولس الذي نقل المسيحية الى بلاد العرب وبعد ذلك نقلها إلى بلاد الغرب (الخلف، 1997).

ويبدو أنَّ دخول المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية كان من مداخل ثلاثة، من سوريا في الشمال، والعراق من الشمال الشرقي والحبشة من الغرب، وقد كانت الكنيسة السورية هي اهم دعائم النصرانية في شبه الجزيرة العربية، ومن خلالها تعمقت النصرانية في داخل الجزيرة العربية (جرجس داود، 1988)، فانتشرت النصرانية في بلاد البحرين وعمان بفضل الحملات

التبشيرية التي مارستها الكنيسة في الحيرة، التي كانت تستمد تعاليمها من الكنيسة الام (الكنيسة السورية)، وواصلت النصرانية زحفها عن طريق المدخل الغربي والغربي الجنوبي من جهة الحبشة لتصل الى بلاد اليمن والحجاز، والذي لعبت فيه كنيسة نجران الدور الاساسي في التنصير، مستمدة في ذلك تعاليمها من الكنيسة الكبرى في سوريا (دغيم، 1995)، ومن الاماكن التي انتشرت وأثّرت فيها المسيحية في دول وممالك الجزيرة العربية نذكر بعض الامثلة:

3-4-3-4 جنوبى بلاد العرب والمسيحية

انتشرت المسيحية في اليمن عن طريق مبعوث ملك بيزنطة (تيوفيلوس)، الذي نصر ابناء اليمن، وأمر بإقامة كنيسة في مدينة ظفار، وأصبح هو رئيس أساقفتها، وأشرف على كنائس أخرى، منها كنيسة نجران (سالم، 1988)، والتي تعتبر المركز الاساسي الذي انتشرت منه المسيحية في اليمن وجنوبي شبه الجزيرة العربية (جواد، 1993)، ويذكر بعض المؤرخين أنّ جنوبي شبه الجزيرة العربية كانت المعقل الحصين لانتشار المسيحية بين العرب، والتي بقيت حتى مجيء الاسلام وما بعده (سالم، 1988)، وكان للنصارى العرب عادات وتقاليد من أهمها:

أ- الأعياد : مارس العرب النصارى في دول وممالك شبه الجزيرة العربية في القديم، شعائهم الدينية وطقوسهم التعبدية كسائر الشعوب التي سكنت معهم، وقد كان للعرب عيد يُسمى (عيد السّّعانيين)، وهو ما يُعرف اليوم بـ (عيد الشعانيين) (دغيم، 1995)، ففي هذا العيد يخرج الناس من دور عباداتهم يحملون قُضْب الرّيحان وأعواداً تعلّق عليها ألْبسة الأضرحة، وأولاداً يلبسون ثياباً بيضاء ويحملون الشموع المحاطة بأغصان الزيتون وقُضْب الرّيحان وأغصان النخيل، ويخرجون في مسيرة دينية تسمى (الرّيحان)، ويسبق هذا العيد عيدهم الكبير بأسبوع (جواد، 1993)، ومن أعيادهم كذلك عيد الفصح، الذي يلي عيد السّّعانيين بثلاثة أيام، وفي تُزَيْن الكنائس وتضاء بالسراج (ابن منظور، 2004).

ب - زيارة المقابر والأضرحة : تعود العرب القدماء على زيارة القبور والأضرحة أيام الاعياد، فكانوا يطوفون حول القبور ويرددون ترانيمًا وأشعارًا، هذه الترانيم والأشعار كانت تردد حزناً على من مات وفارقهم (الاصفهاني، 1968).

ج - الصلاة : وقد أداها النصارى العرب القدماء أفراداً وجماعات، ورتّلوا المزامير بأنغام، وكان ترتيل القسيسين يسمى (الهيّتم)، الذي كان يؤدى بأصوات خافتة، كما عرف العرب التلحين في الصلاة (دغيم، 1995).

د - التّعميد : ويُسمى كذلك التّصبيغ وهو أن يُغمس المولود أو الداخل في دينهم في الماء إيذاناً بدخوله في هذا الدين، ويقولون: إن يوحنا الذي هو يحيى عليه السلام قد عمّد المسيح عليه السلام، وأصبح ذلك سُنّة وعادة عندهم، وكلما احتاجوا إلى ذلك أو ولد لهم مولود حسب طقوسهم فإنهم يغمسونه، وذلك بأن يأتي القسيس ويغمس ذلك الرجل في الماء ويقرأ بعض الأوراد والأذكار المعينة عندهم، ويكون بذلك قد عمّد، فأصبح هذا إيذاناً بدخوله في الدين، أو بالتزامه به بعد أن كان تاركاً لبعض شعائره (الاصفهاني، 1968).

مارس العرب النصارى طقوسهم وشعائهم الدينية، بلغات عديدة كالعبرانية والآرامية والسريانية واليونانية والحبشية والعربية، وفي أزمان مختلفة وأماكن متعددة من شبه الجزيرة العربية (جرجس داود، 1988).

وما يمكن استخلاصه مما سبق أن الديانات التوحيدية في دول وممالك شبه الجزيرة العربية القديمة كان لها انتشاراً واسعاً، وقد أثرت بشكل كبير في كيفية تكوين الذهنية الدينية للعرب القدماء، كما كان لها دوراً كبيراً في عادات وتقاليد العرب القدماء، وإن ممارسة العرب لهذه الديانات واعتناقهم لها مكنهم من بناء شخصياتهم حسب الدين المعتقد، فأخذوا عن هذه الديانات ما رأوه صالحاً وما كان في خدمة مصالحهم، وطرحوا وتركوا ما لم يروه مناسباً لهم.

III- الأديان الوثنية (الوضعية) في شبه الجزيرة العربية القديمة

يُقصد بالأديان الوثنية أو الأديان الوضعية تلك المعتقدات التي صيغت في شكل مذاهب وأفكار معينة، ودُوّنت في كتب دون أن تكون منزلة أو موحاة من السماء، وهي من وضع البشر (جرجس داود، 1988)، ومن الديانات الوضعية التي عرفها العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية نذكر ما يلي:

1- المجوسية

1-1 تعريف المجوس لغة

ومفردتها المجوسي؛ وهو الكاهن عند الأشوريين وقُدّامى الفُرس، وهو الذي يقوم على النار، وهو الذي يباشر أعمال السحر، والمجوس أمة كانت تعبد النار والشمس والقمر، وأُطلق عليهم هذا اللقب منذ القرن الثالث الميلادي (ضيف، 2004).

1-2 تعريف المجوسية اصطلاحاً

المجوسية ديانة وثنية تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر، وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسب إليه المجوسية، أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار (جرجس داود، 1988)، ويذهب الشهرستاني إلى أن المجوسية هي الكيومرثية نسبة إلى كيومرث أحد أبناء آدم عليه السلام، وقيل أنه آدم عليه السلام، وقيل أنه أحد أبناء نوح عليه السلام (الشهرستاني، 1968).

1-3 المجوسية في شبه الجزيرة العربية

المجوسية نحلة مارسها بعض سكان شبه الجزيرة العربية، وقد وصلت إليهم عن طريق الفُرس الذين كانوا يعتقدونها ويعتقدونها (دغيم، 1995)، والمجوس عند الاخباريين أنهم القائلين بالأصلين النور والظلمة، فكانوا يعتقدون أن النور هو

الخير، وأنَّ الظلمة هي الشر، فيزعمون أنَّ فعل الخير والأعمال المصاحبة له من فعل الثور، وأنَّ الشرِّ والأعمال المتصلة به من فعل الظلمة، وأنَّ الثور أزلِّي والظلمة محدثة (الشهرستاني، 1968)، وهم بذلك يقدسون النَّار والثور، والنَّار عندهم هي رمز لكثير من الأمور فعظموها وبنوا لها بيوتاً واتخذوا لها سدنة ووقفاً وحُجَّاباً، فلا يدعونها تحمد لحظة واحدة ويحفرون لها أحاديث في الأرض ويطوفون بها (الجوزية، 2003).

وإنَّ ذِكرَ المجوس في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج، 17)، لدليل على معرفة دول وممالك شبه الجزيرة العربية للمجوسية وانتشارها ببلادهم، وقد أثَّرت المجوسية في عرب تميم وقيل أنَّهم اتَّبَعُوا المزدكية والمجوسية، ومن عرب تميم الذين تمجَّسوا (زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة، والافرق بن حابس، وأبو الأسود) وكان هؤلاء من أسياد تميم (المقدسي، د. ت)، وما يدل على ذلك هو حلفهم بالنار والرماد، حيث كانت هناك نار عظيمة متنقلة ظهرت في الجزيرة العربية، فأضَلَّتِ العرب وَفَتَّتْ بعضهم وأدَّت بهم إلى التمجس (الاصفهاني، 1968)، أي اعتناق المجوسية.

وقد اعتنق بعض سكان اليمن المجوسية، ومن أسباب انتشار المجوسية باليمن هم مبعوثي الملك الفارسي كسرى، الذي أرسلهم لطرد الأحباش من اليمن وقد كان هو ومبعوثيه على المجوسية الذي هو دين الامبراطورية الفارسية (جواد، 1993)، وبقي بعض اليمنيين على المجوسية الى ان ظهر الاسلام فنبذوا المجوسية واعتنقوا الاسلام (الألوسي، 1925)، وكان باليمامة قوم من العرب المجوس عاشوا في قراها واشتغلوا بالزراعة والتعدين، واختلطوا بالسكان فاثروا عليهم واعتنقوا المجوسية واعتقدوا بها (أحمد مصطفى، 2016).

ويُعرف عالم المجوس ورئيسهم الروحي عند العرب بـ (الموبد أو الموبدان)، وهو بمثابة القاضي، وقد قسم بعض العلماء كلمة (موبد) إلى قسمين: (مُو) وتعني الدين و(بذ) وتعني الحافظ، وهي في مجموعها تعني حافظ الدين، والموبد من الالفاظ المعربة عن الفهلوية (Magpat) وتعني المجوس (ابن منظور، 2004)، وقد اورد لنا الاخباريون من العرب ان هناك لفظة اخرى لها صلة بالمجوسية وهي (المربذ)، وهي لفظة معربة عن الفارسية من اصل (هور) و(بت) وتعني رئيس خدام النار في المعبد (المسعودي، 2005).

إنَّ تعظيم العرب للنار جعل من العلماء يحصون أكثر من ثلاثة عشر ناراً للعرب منها: (نار المزدلفة، ونار الحلف، ونار الاستمطار، والغدر والحرب والسلامة والصيد والاسد والفداء والعزى والبرق والوسم) (القلقشندي، 1982)، كما استعمل العرب للدلالة على معنيين: المعنى الحقيقي ويُقصد بها النار التي كان يوقدها العرب حقاً، والمعنى المجازي ويُقصد به تعابير ومعنى مجازية مثل قولهم: (نار الشوق، ونار الحب، نار الحمى، نار البرق) (القلقشندي، 1982).

2- الصابئة وتأثيرها على شبه الجزيرة العربية

1-2 تعريف الصابئة لغة : اختلف العلماء في أصل كلمة صابئة مما أدى إلى اختلافهم في المراد من ذلك، ويمكن إجمال أقوالهم فيما يلي:

- **القول الأول (بالهمز) صبا :** إن الكلمة عربية تفيد معنى الخروج والتحول والانتقال من دين إلى آخر، مأخوذة من قول العرب: صبا ناب البعير إذا طلع حده وخرج، وتصبا النجوم أي تخرج من مطالعها، والصابئ: المستحدث دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى دين آخر، كالمترد من أهل الإسلام عن دينه، وجمع صابئ صابئون، وصباء، وصابئة، صباءة، ويعرفون في العراق باسم الصبئة، والفعل (صبا) يأتي على وزن فَعَلَ، ك (مَنَعَ)، ويأتي على وزن فَعَّلَ ك (كَرَّمَ) (البيروني، د. ت).

- **القول الثاني (بغير الهمز) :** إن الكلمة عربية تفيد معنى الميل والنزغ، تقول أصبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه، ونزغ واشتاق وفعل فعل الصبيان، وقد يقال صبا الرجل أي عشق وهوى (القلقشندي، 1982)، ومن هذا المعنى قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَالَّذِي تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف، 33).

- **القول الثالث :** وذهب بعض العلماء أن الكلمة صابئين مشتقة من (صباووث) العبرانية، أي جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب. وذهب بعض آخر إلى أنها مشتقة من صب الماء إشارة إلى تعميدهم (التعميد) بالماء لأنهم يتعمدون كالنصارى، وقال غيره أن الديانة المسيحية اتصلت ببقية الكلدانيين فنشأ منهم مسيحيو (مار يوحنا) في البصرة وهم الصابئون (الألوسي، 1925).

2-2 تعريف الصابئة اصطلاحاً : يُقسم العلماء الصابئة من حيث الاصطلاح الى فئتين هما :

- الصابئة المندائيون

هم طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبياً لها، يقَدِّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبرون أنَّ قبلتهم هي الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي، وكذلك التعميد في المياه الجارية (الحاطي، 1406هـ).

- الصابئة الحنفاء

فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم، والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وهم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون (بالإسلام المشترك)، وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه، وليس لهم كتاب ولا نبي، وكانوا موجودين قبل إبراهيم عليه السلام بأرض اليمن (ابن تيمية، 1977).

ينسب الصابئون دينهم إلى عهد نوح وإبراهيم عليهما السَّلام، بالتلقي عن ادريس عليه السَّلام، فمنهم عبدة الأصنام ومنهم عبدة الكواكب (الجام، 1923)، وقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، 62)، ومن خلال الآية يتبين لنا أن الصابئة فيهم المؤمنين وفيهم غير المؤمنين، ومنهم الشقي ومنهم السعيد، كما يعتقد الصابئة أنَّ للعالم صانع فاطر حكيم مقدَّس، لذلك يقولون انهم يحتاجون في معرفة الله تعالى وطاعته واحكامه الى وسيط، فتقربوا الى الروحانيات واتخذوا لها اصناما على هيئة الكواكب وجعلوا لها بيوتا، وزعموا ان البيت الحرام هيكل زحل (الجام، 1923).

وانتشرت الصابئة في بلاد العرب الجنوبية، وتسموا بأسمائها ك (عبد شمس) الذي قال عنه العلماء أنه اصل السبئيين، ويذكر المؤرخون أن الانباط كانوا يمجدون الشمس، وقيمون لها الهياكل المعبودة في منازلهم، ويحرقون عندها البخور ويسكبون عليها الخمر، ويضيف بعض العلماء أن كنانة كانت تعبد القمر، وحمير عبدت الشمس، وكان بنو جرهم ولخم وجذام يسجدون للمشتري (عاقل، 1975).

وما يمكن استخلاصه أن الصابئة هم اولئك القوم الخارجين على عبادة قومهم المخالفين لهم في دياناتهم، شأنهم في ذلك شأن ما يُسمى اليوم بـ (الملحدين) أو (الهدامين)، ويوصفون بكل الاوصاف الهدامة التي تُخرجهم عن مثل المجتمع القائم وتقاليده.

IV- أشهر الاصنام التي عبدت في شبه الجزيرة العربية

يمكن تقسيم آلهة العرب إلى قسمين: آلهة من الدرجة الأولى وآلهة من الدرجة الثانية، وقد ورد ذكر كل هذه الآلهة في القرآن الكريم، فال فئة الأولى هي الآلهة التي كانت عبادتها منتشرة بشكل كبير وكانت لها مرتبة أعلى في وجدان قدامى العرب، وتضمّ اللات، والعزى، ومناة، وهبل، وأما الفئة الثانية فهي مثل: ود، سواع، يغوث، يعوق، ونسر، وقد ذكرت كل هذه الأوثان والأصنام في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرِيْ أَلِهَتُكُمْ وَلَا تَدْرِيْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح، 23)، والفرق بين الفئتين يمكن تشبيهه بالفرق الذي وضعته بعض الديانات بين الإله الفاعل المتخصص في الأعمال الكبيرة والرَّب الذي يُعتبر مجرد وسيط أو مُساعد ولكنه ليس بقوة الآلهة الأعلى.

وأرجع معظم المؤرخين القدماء أصل عبادة الأصنام في جزيرة العرب، إلى رجل من مكة اسمه عمرو بن لحي، وقالوا إنه كان يجمع بين الزعامتين القبلية والدينية، وإنه حين كان يجول في بلاد الشام للتجارة، رأى أناساً يعبدون آلهة فسألهم عنها فقالوا إنهم يتقربون بها للإله ويسألونها الحماية فتحميتهم، فأخذ منهم بعض تلك التماثيل ونصبها في أرض الحجاز، وكان مؤسس عبادة الأصنام، ومن أشهر اصنام العرب القدماء واوثانهم نذكر ما يلي:

- الصنم اللات

هي آلهة أنثى كان مقرها الرئيسي في مدينة الطائف، وهي تمثل فصل الصيف لقول العرب: "إن ربكم يَتَصَيَّفُ باللات لبرد الطائف، وَيَشْتُو بِالْعُزَى لحر تامة"، وكان تمثالها على شكل صخرة بيضاء منقوشة، وقيل إنها مربعة وقال بعض المؤرخين أنها من حجارة بركانية أو نيزكية، وكانت ثقيف تقوم بخدمتها وكسوتها، وكان حولها حرم ممنوع فيه الصيد أو القتل وتحتها حفرة يقال لها (الغيب) توضع فيها القرابين، ويبدو أنه كان لللات مجسم رمزي تحمله القبائل التي تعبدتها عند الخروج للقتال (ابن كثير، 2000).

- الصنم العزى

كان موقعها شرق مدينة مكة، وقيل أنها كانت تمثالاً، كما قيل أنها كانت ثلاث شجرات متجاورة، وثمة روايات تقول أن العزى كانت شيطانة تسكن تلك الشجرات وتخطب المتعبدين لها، وتجاوزت عبادة العزى مكة، ووصلت إلى أهل مملكة الحيرة في العراق، ويقول بعض الباحثين إن العزى هي المعادل العربي للآلهة الإناث القديمات مثل عشتار وعناة وإيزيس.

- الصنم مناة

اختلف المؤرخون على ما إذا كانت تمثالاً أم صخرة، فمنهم من قال أنها تمثال حجري على ساحل البحر الأحمر، ومنهم من قال أنها صخرة تُقَدَّم لها الذبائح وإنها حملت اسم (مناة) لأن الدماء كانت تُمْنَى عندها أي تراق عندها، وكان العرب القدماء يتقربون إليها بالذبائح، ويقول جواد علي عليها: "أنها كانت صنماً وأمامه صخرة تمثل المذبح" (جواد، 1993)، وكان الأوس والخزرج أهم من عظموا هذه الإلهة، حتى أنهم كانوا لا يتمون حجهم قبل الإسلام إلا بزيارتها وحلق رؤوسهم عندها، ويقول البعض أن عابديها كانوا يعتقدون أنها إلهة كريمة طيبة تجلب الخير ولهذا نصبوا تمثالها عند ساحل البحر المرتبط بالماء، والذي تأتي من ناحيته السحب المحملة بالأمطار إلى قلب الحجاز (ابن منظور، 2004)، ويقول آخرون عن هذا الصنم "إنه كان إلهاً للأمنيات السعيدة وللمنايا، أي الموت وللحفظ"، وثمة آراء تعتبر أن مصدر مناة هو بلاد بابل لوجود إلهة بابلية اسمها "ما مناتو"، وقد انتهت عبادتها حين أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهدم معبدها (الحموي، 1929).

- الصنم هُبَل

كان بمثابة كبير آلهة العرب وكان منصوباً في جوف الكعبة، وقيل إنه أول صنم وضعه عمرو بن لحي في مكة، وهُبَل تمثال من العقيق الأحمر لرجل كانت يده مكسورة فصنعت قريش له يداً من ذهب، واختلف المؤرخون في تخصص هُبَل، فقال بعضهم إنه إله الخصب والخير، وغيرهم قال إنه إله القمر بينما قال كثيرون إنه التجسيد القديم لله (الحموي، 1929).

(1929) ؛ ومن الاصنام المهمة كذلك عند سكان دول وممالك شبه الجزيرة العربية، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم نذكر ما يلي:

- الصنم وُد

هو إله ذكر على هيئة رجل ضخم يرتدي مئزرًا وحُلّة ويعلق في عنقه سيفًا وعلى كتفه قوساً وفي يده حربة فيها راية وجعبة سهام. يبدو من هيئته أنه "إله محارب"، وإن كانت قصته مجهولة. عظمه بعض العرب وتسمّوا بـ"عبد ود" وبقي معبوداً حتى هدمه خالد بن الوليد بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم (ابن كثير، 2000).

- الصنم سُوَاع

هي امرأة عبدتها بعض القبائل العربية القديمة، وقيل إن مقرها كان في ينبع، وقد هدمه عمرو بن العاص، كانت بداية عبادة العرب لسواعة عندما نبش عمرو بن لحي عن تماثيل سواعة في ساحل جدة فوجد تماثيلها مع الأصنام الأخرى ود ويعوق ويعوث ونسر، فلما خرج عمرو بن لحي للحج أخذ معه هذه التماثيل - كما أمره رئيسه من الجن - ودعا العرب لعبادتها وأعطى التماثيل لقبائل مختلفة ليعبدوها، فكانت سواعة من نصيب قبيلة هذيل التي خصتها بالعبادة وبنت لها معبداً بموضع يقال له رهاط من أرض ينبع، وكان رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم هو الذي أخذ سواعة وأتى بها إلى قومه، وقيل إن قبائل بني كنانة ومزينة وفهم وعدوان عبدوها أيضاً مع هذيل، وكان سدنتها بنو صاهلة من هذيل، وفي رواية أن عبدة سواعة هم آل ذي الكلاع، وزعم بعض المؤرخين أيضاً أن المؤمنين بسواعة كانوا يحجون إليها (السيوطي، 1990)، ولعل أهم مظاهر عبادتها هو العكوف عندها كما في قول الشاعر:

كما عكفت هذيل على سواعة تراهم حول قبلهم عكوا
عتائر من ذخائر كل راع يظل جنابه برهاط صرعى

- الصنم يَغُوث

هو صنم على هيئة أسد، يرجح بعض المؤرخين أن أصوله مصرية أو حبشية لتشابهه مع بعض آلهة تلك الشعوب، وقيل أنه كان في اليمن عند ساحل البحر الأحمر وغير معروف إذا كان اسم يغوث هو اسم معرب أم مشتق من فعل الغوث، وكان يغوث على صورة أسد مصنوع من الرصاص يُحمل على جمل أجرد (أي سَبَّاق)، فإذا بلغ وادياً برك فيه، فيقولون: «قد رضي ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه»، ويظهر أنه كان صنم خيرٍ مغِيثٍ مساعدٍ معاونٍ، ولعل تصويره على هيئة الأسد يدل أيضاً على الشجاعة والقوة في الحروب، وقد عبدته مذحج باليمن وأهل جرش، وقد صار هذا الصنم طوطماً لقبيلة مذحج، يدافعون عنه، والطوطم هو الجُدُّ الذي تتخذه القبيلة سواءً كان شيئاً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً، وكانوا يجعلون قبيلتهم تحمل ذلك الطوطم أو العلامة، وقد ورد أن بعض العرب القدماء ألهَّوه وجعلوه إلهاً، وتسموا

بأسماء تعبدوا فيها ليغوث كـ"عبد يغوث"، منهم من كان في مذبح ومنهم من كان في قريش؛ ومنهم من كان في هوازن، وقد كان اسم قائد جيش بنو الحارث عبد يغوث الحارثي (السيوطي، 1990).

– الصنم يَعُوق

هو صنم على هيئة فرس مصنوع من الصفر والرصاص عُبدَ في اليمن، وكان يشبه في شكله صنم (اليعوب) الذي عبدته قبيلة طيء، واسمه مشتق من الفعل "عاق" أي ثبطه وهو فعل مشتق من المصدر "التثبيط"، مما يوحي بأن هذا الصنم كان إلها "معيقا"، وقد نصب تمثال يعوق في موضع خيوان بالقرب من صنعاء فعبدته قبيلة مذحج ومن والها من أهل اليمن، ويُذكر أن عبادة يعوق لم تكن منتشرة بين العرب عامة، ويظهر أنها كانت محصورة على قبيلة همدان – التي عبدت يعوق بشكل رئيسي – ولم يذكر الإخباريون أن العرب القدماء تسموا بأسماء يتعبدون فيها ليعوق مثل "عبد يعوق"، ويعلل المؤرخون ذلك بأن همدان قد اختلطت بحمير التي كانت يهودية فتركوا الوثنية واعتنقوا اليهودية، ومن ذلك يظهر أن عبادته قد ماتت قبل الإسلام (السيوطي، 1990).

– الصنم نَسْر

هو صنم على هيئة نسر، يُقال أن قبيلة حمير اليمنية عبدته قبل اعتناقها اليهودية، ويُعتقد أنه كان من آلهة الساميين القدماء (السيوطي، 1990)، وقد نحت هذا الإله على بعض القطع الأثرية على هيئة نسر، وقد اتخذ النسر شعارا لبعض الممالك العربية الجنوبية والشمالية القديمة (معين وسبأ وحمير وحضرموت ومملكة الأنباط) (ابن منظور، 2004).

٧- النتائج ومناقشتها

إنَّ هذه الدراسة والتي تخص الديانات التوحيدية (السماوية) والوثنية (الوضعية) في دول وممالك شبه الجزيرة العربية من القرن 05 ق.م إلى القرن 02م، أسفرت على نتائج عديدة كثيرة ومتنوعة نذكر منها :

– أنَّ العرب القدماء وخاصة من غير المسلمين يُعرِّفون الدين على حسب أهوائهم الشخصية ووفق ما كانوا يعيشونه، لذلك اعتقدوا في كل المظاهر الطبيعية، وجعلوا لها آلهة وقَدَّموا لها القرابين واتخذوا لها اصناما وأوثانا تعبد في كل الأوقات، وكانت هذه التماثيل والأصنام (آلهة العرب القدماء) تُحمل وتُنقل معهم أينما حلوا وارتحلوا.

– لقد كان لليهود في شبه الجزيرة العربية كيان طائفي وديني، فقد كانت لهم معابد وبيوت مدراس وأحبار وريانيون، وكان لأحبارهم وريانييهم أثر كبير فيهم، فقد كانوا بمكانة القضاة عندهم، يتحكمون إليهم ويُبْتُغُون لهم في أمورهم ؛ واتبع اليهود أحبارهم في ما حللوا وحرّموا، وكان الأحبار يأكلون أموال الناس بالباطل، يرتشون ويأكلون الربا، ويبيعون الفتاوى بالمال لإرضاء الحكام والملوك والأمراء على حساب الدين، وكانوا يأمرّون بالخير

- ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملون، وعمومًا لقد كان الأحرار والربانيون هم من يقود بقية اليهود في شبه الجزيرة العربية، فهم أصحاب القرار النافذ فيهم.
- لقد وجدت النصرانية (المسيحية) سبيلًا لها بين سكان الجزيرة العربية، وقد كانت مصدرًا هامًا من مصادر التجارة، كما كان لها أثرًا كبيرًا على العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية، فأضافت لهم الكثير في مجال الحياة وجذبت إليها كثير من العرب، وتركت انطبعا عميقًا في نفوس العرب ألا وهو الإصرار على أن هناك يوم حساب، وكانت لديهم أيضًا فلسفة الحشر والنشر في المقام الثاني في الأهمية بعد الإيمان بالله.
- تخصيص إله كبير يجتمعون عنده ويحجون إليه ويطوفون به ويكثرون له بالدعاء، لذلك نرى تفرق معتقداتهم بين ديانات سماوية جاء بها رسل وأنبياء كالحنيفية واليهودية والنصرانية، وبين معتقدات وثنية وضعها لهم رجال دينهم كالجوسية والصابئة، ولكن لا تلك ولا هذه عبدوها حق عبادتها.
- كان الأحناف مؤمنين بالله عز وجل وموحدين له في عقائدهم وفي شعائهم وطقوسهم الدينية، ومقرين بالبعث، فاخلصوا له الطاعة وعبدوه حق عبادته، وكانوا يرفضون الاشرار معه، بالإضافة إلى دعوة الناس لعبادته وحده والتقرب له بالطاعات، فابتعدوا عن عبادة الأصنام وغيرها من أصناف العبادات التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية؛ والواضح أن شبه الجزيرة العربية شهدت العديد من العبادات والديانات بعضها موحد وبعضها مشرك.
- كان بعض العرب القدماء على الرغم من وثنيته، إلا أنهم كانوا معظمين لإله الكعبة وكانوا يحجون إليه، ويجتمعون عنده ويقدمون له القرابين والأضاحي.
- لقد كان بعض سكان شبه الجزيرة العربية يعظمون هذه الأصنام ويعطونها منزلة فوق منزلتها، ويشبهونها بالله سبحانه وتعالى، فهم لم ينكروا وجود الله سبحانه وتعالى، بل كانوا يعتقدون بأن هذه الأصنام تقرهم إلى الله زلفى؛ كما أن الشياطين كانت تدخل في هذه الأصنام وتخطبهم منها، وتخبرهم ببعض الغيبات، فيظنون أن الصنم نفسه هو المخاطب وقد كان من طقوس عبادتهم لها والتذلل عندها والسجود لها وضرب الاقداح عندها.

خاتمة

وما يمكن استنتاجه أن الدين كان ولا يزال يشكل المنظومة الروحية الأكثر أثرًا وتأثيرًا في مدار السلوك الانساني، فبعض الديانات شكلت جزءًا هامًا من التراث الحضاري والروحي للكثير من الشعوب وكانت عناصر حيوية من عناصر توجهات الشعوب الفكرية والحضارية، وبقدر ما يؤثر الدين على المجتمعات ايجابيا فانه يؤثر كذلك سلبا عليها وخاصة عند سوء استعماله، ومهما يكن من أمر فإن الديانات بشكليها (السماوية والوضعية) قد دعت إلى التكامل والتواصل بين الشعوب كما دعت إلى الوحدة في منطلقات ومعالم الفكر الديني لدى الشعوب والأمم.

وخلاصة القول إنَّ الدعوة إلى ممارسة الديانات التوحيدية وعبادة الله وحده في الجزيرة العربية، صارت معدومة تمامًا أو شبه معدومة على أقلِّ تقدير، وعلى كل حال فقد بقي الأمر في الجزيرة العربية على حاله، كلُّ يتَّبَع ما يراه مناسبًا لحاله ونفسه، ولم يكن هناك جدال أو نقاش أو صدام بين أتباع الديانات والرسالات وبين عابدي الأصنام والأوثان، حتى جاءت رسالة الإسلام محرِّكة للركود العقدي الذي طال أمده في الجزيرة العربية.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن تيمية، أبو العباس أحمد تقي الدين، (1977). كتاب الرد على المنطقيين، باكستان: مطبعة معارف لاهور.
3. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، (2000). تفسير القرآن الكريم، تحقيق سامي محمد بن سلامة، ط02. ج02. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
4. ابن منبه، وهب، (1374هـ). التيجان في ملوك حمير، اليمن: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.
5. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، (2004). لسان العرب، ط03. ج13. بيروت: دار صادر.
6. أبو الغيث، عبد الله، (2014). بلاد العرب في التاريخ القديم، صنعاء: المكتبة التاريخية اليمنية.
7. الاصفهاني، الحسين بن عبد الله، (1968). بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح علي، ج13. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
8. الألوسي، محمود شكري، (1925). بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، ط02. ج02. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
9. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (بلا تاريخ). الآثار الباقية عن القرون الخالية، مصر: المكتبة الشاملة.
10. الجام، محمد نعمان، (1923). أديان العرب في الجاهلية، مصر: دار السعادة.
11. جرجس داود داود، (1988). أديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
12. جواد، علي، (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج06. لبنان: دار النشر بيروت.
13. الجوزية، ابن قيم أبو عبد الله، (2003). مدارج السالكين ج03. تحقيق المعتمد بالله البغدادي بيروت: دار الكتاب العربي.
14. الجوهرى، اسماعيل بن حماد، (بلا تاريخ). الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، مصر: المطبعة العالمية.
15. الحاطي، يوسف عبد الله، (1406هـ). الاتجاهات الدينية في الجزيرة العربية قبل الاسلام، السعودية: المملكة العربية السعودية.
16. حمزة، محمد ابراهيم، (2012). " الأديان في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ". مجلة الخليج العربي، اللاذقية، المجلد 40، (ع 1 و 2)، ص. ص 01-41

17. الحموي، ياقوت شهاب الدين، (1929). معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج 02. بيروت: دار الكتب العلمية.
18. الخلف، سعود عبد العزيز، (1997). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض: مكتبة أضواء السلف.
19. دراز، محمد، (1952). كتاب الدين، مصر: المطبعة العالمية.
20. دغيم سميح، (1995). أديان ومعتقدات العرب قبل الاسلام، بيروت: دار الفكر اللبناني.
21. سالم، عبد العزيز، (1988). دراسات في تاريخ العرب، ج 02. القاهرة: مؤسسة الجامعة للطباعة والنشر.
22. السجستاني، أبو حاتم، (د. ت). المعمرون والوصايا، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
23. السعدي، عيسى عبد الله، (1988). المختصر في الأديان والفرق، السعودية: دار الطائف للنشر.
24. السيوطي، جلال الدين، (1990). المزهري في علوم اللغة العربية، ج 06. مصر: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
25. شامي، يحيى، (1986). الشرك الجاهلي واهله العرب المعبودة قبل الاسلام، لبنان: دار الفكر اللبناني.
26. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (1968). الملل والنحل، تحقيق الوكيل محمد بن عبد العزيز، القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر.
27. ضيف، شوقي، (2004). المعجم الوسيط، ط 04. مصر: مكتبة الشروق الدواية.
28. عاقل، نبيه، (1975). تاريخ العرب القديم وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، لبنان: دار الفكر اللبناني.
39. عرفان، عبد الفتاح، (2000). نشأة الفلسفة المعرفية وتطورها، مصر: دار الطباعة للنشر والتوزيع.
30. فلافيوس، يوسيفوس، (1872). تاريخ يوسيفوس، بيروت: دار صادر.
31. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (1955). القاموس المحيط، القاهرة: المكتبة الشاملة.
32. قمر، جورج، (1979). تعدد الأديان وأنظمة الحكم، بيروت: دار النهار.
33. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (1982). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الانباري، ج 13. بيروت، لبنان: دار صادر.
34. المرزباني، أبو عبد الله محمد، (2005). معجم الشعراء، تحقيق سليم فاروق، بيروت: دار صادر.
35. المسعودي، الحسن بن علي، (2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 01. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
36. مصطفى، محمد أحمد، (2016). تاريخ العرب قبل الاسلام، ج 02. الاردن: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.
37. المقدسي، طاهر بن مطهر، (بلا تاريخ). البدء والتاريخ، ج 04. مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
38. النشار، سامي، (1949). نشأة الدين، النظريات التطورية والمؤلهة، الاسكندرية: دار نشر الثقافة.
39. هبو، أحمد رحيم، (1990). تاريخ العرب قبل الاسلام السياسي والحضاري، سوريا: منشورات جامعة سوريا.